

خطبه الجمعة - الخطبة ٣٢ : أهداف الناس في الحياة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٧٥-٤-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله الذي سبّح الكائنات بحمده ، وعنت الوجوه لعظمته ومجده ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه واعترته الطيبين الطاهرين .

### المعنى الزائف خلف مفهوم الحياة :

أيها الإخوة المؤمنون ؟ إذا استثنينا كبار المتقين وصفوة المؤمنين ، الذي لا تلهيهم تجاراتهم ولا أموالهم ولا أولادهم عن ذكر الله ، وإقامة الصلاة ، والذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه والذين اشتري الله منهم أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ، والذين يصبحون وأكبر همهم الآخرة .

إذا استثنينا هؤلاء ، وسألنا عامة الناس ، إلى أي شيء تسعون ، وفيما تشغلون ، ومم تفرحون وعلام تحزنون ، وإلام تنصرفون ، وما الذي يهلككم ، وما الذي يطئنكم ، وما الذي يغضبكم ، وما الذي يرضيكم ، إذا سألناهم هذه الأسئلة ، أو تفحصنا أعمالهم أو أصغينا إلى صوت أنفسهم لا نجد سوى جواب واحد ، إنها الدنيا أكبر همنا وبلغ علمنا ، وينتهي قصتنا ، ومعقد آمالنا ، فهذا يرى سعادته وخيره في المال فيكشف على جمع الدرهم والدينار ، ويضحي من أجله براحتة وصحته ودينه ، ثم يكتشف في نهاية المطاف أن المال شيء ولكنه ليس كل شيء وإذا وفر له حاجاته المادية فإنه لا يستطيع أن يوفر له سعادته الروحية والنفسية .

وهذا يرى سعادته وراحتة في امرأة تسره إذا نظر إليها ، فيسعى إليها ويضحي من أجلها بشيء كثير من دينه ، فيقدم لها تنازلات من سلوكه ، وسمعته ، واستقامته ، ورجلته ، وبعد عمر مشحون بالمتاعب والهموم يكتشف في نهاية المطاف أن المرأة شيء ، ولكنها ليست كل شيء وإذا وفرت له بعض ما يظنه سعادة ، فقد سلبته السعادة الحقيقة التي ينعم بها المؤمن المستقيم إذا اقترب من مولاه الكريم ، وعمر قلبه تجلياته ونفحاته .

وهذا يسعى إلى مركز مرموق ، ويرى فيه قمة المجد ، والسعادة فيضحي من أجله باستقامته ، وقيمه ودينه ، وبعد نهاية المطاف ، يرى أن عزة الطاعة ، ومجد الاستقامة هي كل شيء ، ولا يعدلها شيء .

والآن يا أخي ؛ أجبني بربك .

هل تحس بالسعادة الحقيقة ؟

أو بشيء منها ؟

في كل الأوقات أو في بعضها ؟

هل حلت الأسباب واهتديت إلى المقومات ؟

وهل انتقلت من القناعة إلى التنفيذ ؟

هل ملأ المال نفسك ، أم أن نفسك أكبر منه ؟

هل شغلت المرأة كل حياتك ، أم أن حياتك أكبر من أن تشغله امرأة ؟

هل استحوذ مكانك المرموق على كل مشاعرك ، أم أن مشاعرك أكبر ؟

هل أيقنت بأن السعادة الحقة التي تتشرد بها هي عند ربك ؟! ينابيعها وفي الاستقامة سبيلها ومساربها؟

والآن إلى القرآن الكريم :

( أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْهُمْ سِنِينَ \* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ \* مَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ )

[ سورة الشعراء ]

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ الْفِرْوَانُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْفَلُوكُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيَثُمْ بِالْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ )

[ سورة التوبه الآية : ٣٨ ]

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالَّذِي عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٌ عَنْ وَالَّذِي  
شَيَّنَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَعْرَئُوكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْرَئُوكُمُ بِاللَّهِ الْغَرُورُ )

[ سورة لقمان ]

( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَعْرَئُوكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْرَئُوكُمُ بِاللَّهِ الْغَرُورُ )

[ سورة فاطر ]

( زُينَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخُرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقُوا فَوْقُهُمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ  
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِعِظَمَ حِسَابٍ )

[ سورة البقرة ]

( كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُؤْفَنُ أَجُورُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْرَخَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ  
فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّاعُ الْغَرُورِ )

[ سورة آل عمران الآية : ١٨٥ ]

( إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأْنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ \*  
أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهُدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ  
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ النَّهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ  
دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ )

[ سورة يونس ]

ويقول الإمام علي كرم الله وجهه :

أهداف الناس في الحياة .

(( إنما مثلُ الدنيا مثلُ الحياة لين مسُّها ، قاتل سُّمها ، فأعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها ))

وقال عليه الصلاة والسلام :

(( إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء ، قد جعلها الله دار بلوى وجعل الآخرة دار عقبى ، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً ، وعطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً ، فيأخذ ليعطي ، ويبتلي ليجزي ))  
وإن أسعد الناس بها أرغبهم عنها ، وأشقاهم بها أرغبهم فيها .

البعد عن الله هو أخطر الأمراض :

ثم سؤال آخر يا أخي .

هل تحس بالقلق ؟

هل تحس بالانقضاض ؟

هل تشعر ببعض اليأس ؟

هل تتنبك مشاعر القهقر ؟

هل تعيش حالة اللامبالاة ؟

هل تحس بالضياع والتشتت ؟

هل تتنبك مشاعر التشاوؤم ؟

هل تخاف من المستقبل ؟

هل تشعر أن الحياة لا معنى لها ؟

هل ترى أن القوي يأكل الضعيف ، وأن الحق للقوية ؟

هل ترى أن الحياة لا معنى لها ؟

وهل تعتقد أن الدين لا يصلح لهذه الأزمان ؟

هل تقول إني لا أستطيع أن أستقيم على أمر الله ، ولا يستطيع أحد غيري أن يستقيم ؟

هل تقول إننا أمّة تمكر بها قوى البغى والعدوان ، لتحول دون تحررها وتقدمها ؟

أخي إن كنت تحس بهذه المشاعر ، وتتنبك هذه الحالات ، وترى هذه التصورات ، فاعلم أنها كلها

أعراض لمرض واحد ، يعانيه معظم الناس ألا وهو بعد عن رب العالمين نسبياً وسلوكياً ، لقد

أغلقت على نفسك منافذ الرحمن ، وفتحت عليها منافذ الشيطان ، على مصارعها .

قال لك أقطاب الكفر إن العالم سيواجه مجاعة كبرى ، فصدقـتـ وأما قولـ رـبـكـ :

( وَفِي السَّمَاءِ رِزْقٌ مُّبِينٌ وَمَا تُوعَدُونَ )

[ سورة الذاريات ]

فلم تقبله ، أو لم تقرأه ، في قرآن المجيد .

قالوا لك إن الحياة الحقة تحتاج إلى دخل مرتفع ، فصدقت وحزنت لأنك ليس في متناول يديك ،  
وأما قوله ربك :

( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكْرٍ أَوْ أُثْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَهُ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ وَلَنْجَزِيَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ )

[ سورة النحل ]

( وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا )

[ سورة طه الآية : ١١٢ ]

وقوله :

( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلُهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ  
وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ )

[ سورة الجاثية ]

فلم تقبله ، أو لم تقرأه في قرآن المجيد .

قالوا لك إن الإنسان معرض لأمراض فتاكة ، ليس أخطرها الورم الخبيث وهذا صحيح ، وأن  
عليك أن تفحص جسمك من حين لآخر وفي فترات متقاربة ، فأوقعوك في مرض الوهم الخبيث ،  
الذي هو أشد فتكاً من الورم الخبيث ، وربك يقول :

( مَا يَقْعُلُ اللَّهُ بَعْدَ أَبْكَمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلَيْمًا )

[ سورة النساء ]

فلم تقبله ، أو لم تقرأه ، في قرآن المجيد .

قالوا لك : عليك أن تؤمن ضد الوفاة ، والعجز والشيخوخة المبكرة والعاوهات الدائمة ، وضد  
حوادث السيارات ، والطائرات ، وضد الحرائق ، وضد جميع الأخطار ، وفاثك أن التأمين لا يحول  
دون وقوع هذه المصائب ، ولكنه يوفر لك مالاً لا يخفى منها ، فصدقت .

وأما قوله ربك :

( إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَرَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ  
الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ )

[ سورة فصلت ]

وقوله :

( وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ )

[ سورة النمل ]

وقوله :

( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَأْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْثَةٌ أَوْ جَهَرَةٌ هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ )

[ سورة الأنعام ]

والآن ؟ هل عرفت يا أخي لماذا أنت منقبض ، متشائم تحس بالقلق والضياع .  
أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وصلوا ما بينكم وبين ربكم تسعدوا ،  
واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلتنخذل حذرنا ، الكيس من  
دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

**والحمد لله رب العالمين**

\*\*\*

### **الخطبة الثانية :**

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده  
ورسوله صاحب الخلق العظيم .

### **الدعاء :**

اللهم اهدنا فيما هديت ، وعافنا فيما عافيت ، وتولنا فيما توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا  
واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ،  
أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم صن وجوهنا باليسار ولا تبذلها  
بالإلتئام ، فنسألك شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، ونم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ،  
وبيدك وحده خزائن الأرض والسماء .

اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت ، واصرف عنا شر الأعمال لا يصرفها عنا  
إلا أنت .

**والحمد لله رب العالمين**